

41 تفسير سورة طه | آية 721-321 | تفسير ابن كثير

علي غازي التويجري

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك وانعم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى الله واصحابه ومن تبعهم بحسان الى يوم الدين. يقول الله جل وعلا في سورة طه قال اهبطوا منها جمِيعاً بعضاً - [00:00:01](#)

عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. اه هذه الآية في سياق اه قصتي ادم مع ابليس وقد مر اول هذه القصة في درس الامس - [00:00:21](#)

وكان اخره قوله جل وعلا فاكلا منها او قبل ذلك فوسوس اليه الشيطان قال ادم هل اذلك هل اذلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟ فاكلا منها فبدت لها سوءاتها - [00:00:46](#)

رفاقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقد بینا ان الله سبحانه وتعالى اجتباه يعني اصطفاه وتاب عليه من اكله وعصيته لربه جل وعلا ثم هداه تاب عليه وهداه - [00:01:06](#)

قال بعد ذلك قال اهبطوا منها جمِيعاً. يعني اخبر انه اجتباه وتاب عليه وهداه من المعصية ثم قاله بطاء منها جمِيعاً. والهبوط معلوم هو النزول من اعلى الى اسفل يقال هبط فلان ارض كذا اذا حل فيها - [00:01:37](#)

وقد اختلف المفسرون في عود الظمير اهبطاً يعود على من فقال ابن جرير الطبرى اهبطاً يعود لادم وحواء وقال بقوله الشوكاني وايضاً استظره الامين الشنقيطي فقال الظاهر ان الف الاثنين في قوله اهبطوا راجعة الى ادم وحواء المذكورين في قوله - [00:02:03](#)

اكلا منها فبدت لها سوءاتها يعني يقصد الآية التي قبل الاصل ان السياق معتبر. والاصل في الحديث انه يعود على واحد فسياق الحديث سياق الآيات السابقة الآية التي قبل السابقة فاكلا منها فبدت لها سوءاتها وطفقاً يخصفان - [00:02:39](#)

عليهمها هذا لا شك انه راجع على ادم وحواء قال فكذلك الضمير هنا الكلام عنهمما ولا يزال الحديث عنهمما فقال اهبطوا ادم وحواء وثم ذكر عدة ايات تفسر قصة نزول ادم وحواء وهبوطهما و - [00:03:07](#)

قصة هبوطهما كان مما ذكره اه قوله جل وعلا في سورة الاعراف قلنا اهبطوا منها جمِيعاً فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون وفي هذه الآية ايضاً قال بعد قوله قال اهبط منها جمِيعاً بعضاً عدو فاما يأتينكم مني - [00:03:32](#)

يهدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى. وهذا والله اعلم يؤكد انه يعود على ادم وحواء لماذا؟ لأن ابليس لن يهتدي قد كفر واستكبر وطرده الله عز وجل من الجنة حكم عليه بالكفر ولذلك لن - [00:04:06](#)

يتبع الهدى لانه وقع في الضلال والشقاء. وهو هنا يقول قال اهبطوا منها جمِيعاً بعضاً عدو اما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي. لو كان ابليس هذا ما ما يستقيم في حق ابليس لانه لن يتبع هداي الله. وقد - [00:04:36](#)

وشقي ولكن هذا القول الاول والقول الثاني وقال به القرطبي والسعدي وابن عاشور ان الضمير او الالف في اهبطاً تعود على ادم وابليس. على ادم وابليس والاظهر هو القول الاول. لكن - [00:04:56](#)

يرد علينا اشكال على القول الاول لانه قال بعضكم لبعض عدو فهل ادم حواء بعضهم لبعض عدو او ذريتهم لأن المراد هنا الذرية. لأن انه جمع قال بعضكم ما قال بعضكم - [00:05:21](#)

لانه هنا باعتبار الذرية ادم وحواء وهم جمِيع كبار. الخلق كلهم الناس من ذرية ادم وحواء فهنا يبقى اشكال. هل معنى ذلك ان ذرية ادم وحواء بعضهم بعض عدو قال الطبرى آآ - [00:05:44](#)

انتما عدوا ابليس وذريته وابليس عدوكم وعدو ذريتكما وقال الامين الشنقيطي رحمه الله على ما ذكر انه الاظهر قال فالمعنى

فالمعنى ان بعض بنى ادم عدو لبعض كما قال تعالى او يلبسكم شيئا - [00:06:14](#)

ويذيق بعضكم بأس بعض. ونحوها من الآيات. اذا اجاب الامين الشنقيطي ان بعضكم لبعض العدو فعلا مراد ذرية ادم فالمسلمون

اعداء للكفار والكافار اعداء للمسلمين. وهذا حق وقال الطبرى ما معناه انه يعني انتم انتم وذرتكما عدو - [00:06:44](#)

ابليس وابليس وذريته عدو لكم. فكانه يقول هذا وان كان الكلام على ادم وحواء وهو روح هذا فان هذا مفهوم من عموم والادلة لانه

جاءت ادلة اخرى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وكذلك مر معنا في الآيات - [00:07:12](#)

قال يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكم من الجنة فتشقى. فهذا معلوم من عموم الادلة ان الشيطان عدو لبني ادم هو ذريته

وبنوا ادم وادم وذريته عدو للشياطين وللشيطان وذريته - [00:07:32](#)

قال جل وعلا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هدای فلا يضل ولا يشقى. قال الطبرى فاما يأتينكم مني هدى. قال

اي بيان لسبيلي. وما اختاره لخلقي - [00:07:52](#)

من دين وقال ابن كثير رحمه الله فاما يأتينكم مني هدى؟ قال ابو العالية الانبياء والرسل والبيان. هذا هو الهدى. الانبياء والرسل

والبيان وقال الشنقيطي لاصوات البيان هدى اي رسول ارسله اليكم وكتاب يأتي به رسول - [00:08:12](#)

والاقوال بالحقيقة متقاربة كلها حق ولا تعارض بينه. فسبيل الله وما اختاره لخلقه سبيله هو طريق وهو طريق الانبياء والرسل. وما

وما دلت عليه الكتب التي انزلت عليهم اذا فمن اتبع هدای. اذا لابد من الاتباع. لا يكفي ان يعلم الانسان الحق. لا بد ان يعمل به. وان - [00:08:42](#)

تبعد وان يكون من اهله ومن هنا فرق العلماء بين الاتباع والتقليد. فقالوا الاتباع هو الواجب على الانسان والتقليد حرام الا عند

الضرورة كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية قال هو كلام الميتة. الذي لا يجوز الا عند الضرورة. لكن ما الفرق بين الاتباع والتقليد - [00:09:14](#)

الاتباع هو الاخذ بقول الغير بعد معرفة دليله. سمعت قول الامام الفلاني قال قولا فاستدل عليه بدليل فاخذت انت بالقول لان الدليل

صحيح صريح والدليل يدل على هذا القول الذي قال به - [00:09:51](#)

اذا حينما تتبع احدا او تقول احد من العلماء والاصل ان الانسان ليس هناك قول لم يقل به احد من العلماء السابقين. بل ولا يجوز

للانسان ان يأتي بقول لم يقل به سلف الامة. فحينما - [00:10:16](#)

تأخذ بقول الطبرى مثلا في التفسير وتقول هو القول الراجح اذا كنت قلت بذلك لماذا ان كنت قلت لي انه استدل بحديث صحيح او

استدل بدليل صحيح يدل على صحة القول الذي ذهب به فانت - [00:10:31](#)

تبعد لانك اتبعته لاجل الدليل ويصدق عليه قوله جل وعلا فمن اتبع هدای. واما اذا اخذت قول وهذا التقليد اخذت قوله من غير معرفة

دليله. ما دام الامام الطبرى امام مسر قال بهذا القول فهو الحق. ولا اخذ بقول غيره. ما دام - [00:10:52](#)

الفلاني قال بهذا القول فهو قوله لماذا؟ قال لانه امام هدى. ما اختلفنا امام هدى لكنه ليس بمعصوم كل يؤخذ من قوله ويرد الا النبي

صلى الله عليه وسلم. اذا الاتباع - [00:11:16](#)

هو الاخذ بقول الغير بعد معرفة دليله. والتقليد هو الاخذ بقول الغير من غير دليل اذا علينا الاتباع ايه الاخوة قال فمن اتبع هدای فلا

يضل ولا يشقى. الله اكبر - [00:11:32](#)

لا يضل. قال ابن عباس لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة وعلى هذا تدور اقوال السلف ولهذا قال الامين الشنقيطي لا يضل قال

لا يزيف عن طريق الحق لاستنساكه بالعروة الوثقى ولا يشقى في الآخرة لانه كان - [00:11:52](#)

في الدنيا عاملها بما يستوجب السعادة من طاعة الله تعالى. وطاعة رسله فهذا فضل عظيم. اتبعوا الحق يا عباد الله اتبعوا الوحي

اتبعوا الكتاب والسنّة بفهم سلف الامة فلهم لا تضلوا ولا تزيفوا عن الحق - [00:12:25](#)

في هذه الدنيا بل تهتدون اليه ولا تشقون في الآخرة يوم يشقى الذين تركوا اتباع الرسل قال جل وعلا ومن اعرض عن ذكري فان له

معيشة ضنكا قال ابن كثير اي خالف امري. اعرض عن ذكري - 00:12:54

قال اي خالف امري وما انزلته على رسولي اعرض عنه وتناساه واخذ من غيره هداه وقال آآثم قال جل وعلا فان له معيشة ضنكا من اعرض عن ذكر الله خالف امره - 00:13:19

وهداه وما جاءه من الذكر وهو الكتاب والسنّة فان له معيشة ضنكا قال ابن كثير ايضا ايضا كم في الدنيا فلا طمأنينة له ولا انشارح لصدره بل صدره ضيق حرج - 00:13:51

ضلاله وان تنعم ظاهره ولبس ما شاء واكل ما شاء وسكن حيث شاء فان قلبه ما لم يخلص الى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك فلا يزال في ريبة يتrepid فهذا - 00:14:14

من ضنك المعيشة متعدد وهذا تلخيص لاقوال السلف. ولهذا بعد ان ذكر ابن كثير هذا القول ذكر اقوال السلف فقال ابن عباس قال على ابن ابي طلحة عن ابن عباس فان له معيشة ضنكا. قال الشقاء - 00:14:32

وقال العوفي عن ابن عباس ضنكا قال كل مال اعطيته عبادا من عبادي قل او كثر لا يتقيني فيه فلا خير فيه. وهو الظنك في المعيشة وقال ايضا ابن عباس ان قوما ضللا اعرضوا عن الحق و كانوا في سعة من الدنيا متكبرين - 00:14:52

فكان معيشتهم ضنكا ذلك انهم كانوا يرون ان الله ليس مخلفا لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله والتذكيب. فاذا كان العبد يكذب بالله وبسيء الظن به والثقة به. اشتدت عليه معيشته - 00:15:14

فذلك الضنك وقال الضحاك الضنك هو العمل السيء والرزق الخبيث. وكذا قال عكرمة ومالك بن دينار وقال سفيان بن عيينة عن ابي حازم عن ابي سلمة عن ابي سعيد في قوله - 00:15:32

معيشة ضنكا قال يضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه فيه سم قال وقال ابن ابي حاتم جعله مرفوعا قال عن ابي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - 00:15:50

في قول الله عز وجل فان له معيشة ضنكا قال ضمة القبر له. قال ابن كثير والموقف اصح اذا هذه اقوالهم بل جاء بذلك حدي ثانى مرفوعان وكلاهما صحيح الحديث الاول وكلاهما اورده ابن كثير - 00:16:10

الحديث الاول هو ما رواه ابن ابي حاتم ورواه ابو يعلى وابن حبان في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه واله وسلم قال المؤمن في قبره في روضة خضراء - 00:16:36

يفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له قبره كالقمر ليلة البدر اتدرون فيما انزلت هذه الاية فان له معيشة ضنكا. اتدرون ما المعيشة الضنك؟ قالوا الله ورسوله اعلم. قال عذاب - 00:17:03

كافر في قبره والذي نفسي بيده انه ليس له عليه تسعون تينينا اتدرون ما التنين تسعون حية لكل حية سبعة رؤوس ينفحون في جسمه ويسعنونه ويخدشونه الى يوم يبعثون قال ابن كثير - 00:17:20

رفعه منكر جدا وقال الالباني في صحيح الترغيب اسناده حسن وذكر حجته انه بعد اللتي والتي تبين له ان روایة دراج ابي السمح عن ابن حجيرة صحيحة انها حسنة كما قاله بعض الائمة - 00:17:48

والحديث الثاني هو ما رواه البزار وابن حبان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فان له معيشة ضنكا قال عذاب القبر قال ابن كثير اسناده جيد وحسنه الالباني في التعليق على صحيح ابن حبان - 00:18:29

اذا هذه هذان الحديث ان يدلان على ان المعيشة الضنك هي عذاب القبر ولا شك ان هذا من دلالة الاية ما دام ورد فيه الحديث لكن لا يمنع ان له - 00:18:56

معيشة ضنكا في الدنيا كما هو ملاحظ. الان فان العصاة في ضيق من بواطنهم غير المؤمن في صدره من الضيق والحرج ما الله به عليم ولهذا قال اجا عن الحسن انه قال - 00:19:14

ان الذل في رقابهم ولو هملجت بهم البراذين لو ركب على البرذون وهو ولد الحصان من الحمار او العكس وغالبا انه يعنى به فيركبونها تكون مركوبا فارها ويدل على غناه يقول الذل في عنقه - 00:19:40

وكذلك انهمك في الشرك ولم يؤمن بآيات ربه بشدة انهماكه في المعاصي - [00:27:34](#)

لم يؤمن لم يصدق ولم يقر بالآيات بآيات ربه بالدلائل والبيانات الواضحات التي جاءته ومنها الرسول ومنها القرآن ومنها بقية الحجج والدلائل الدالة على أنه لا إله إلا الله ولا معبود بحق سواه ولا يجوز أن تصرف العبادة لغيره سبحانه وتعالى - [00:27:57](#)

ثم قال جل وعلا ولا اذاب الآخرة اشد وابقى عذاب الآخرة اشد من العذاب الذي يحصل له حين ما يحشر حين الحشر وقال الشوكاني عذاب الآخرة اشد يعني افظع من المعيشة الظنك. وابقى اي ادوم وابت لانه لا ينقطع - [00:28:22](#)

وبقائه قال ابن كثير يقول تعالى وهكذا نجاري المسرفين المكذبين بآيات الله في الدنيا والآخرة لهم عذاب في الحياة الدنيا ولا عذاب الآخرة اشقر ومالهم من الله من واق ولهذا قال ولا عذاب الآخرة اشد وابقى اي اشد مما من عذاب الدنيا وادوم عليهم فهم مخلدون فيه. ولهذا قال - [00:28:58](#)

الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين يعني الرجل الذي لعن زوجته قال لهما ان عذاب الدنيا اهون من عذاب الآخرة يعني كون الانسان يجلد او يقام عليه الحد او يرجم - [00:29:23](#)

هذا اهون من عذاب الآخرة لأن عذاب الآخرة شديد فالحاصل ان من اعرض عن ذكر الله فان له المعيشة الضنك وشدة الحياة وبؤسها وهذا في الدنيا وكذلك في القبر ويوم تقوم الساعة - [00:29:50](#)

العذاب اشد وابقى اشد عذابا وادوم لأن ما في الدنيا ينقطع ما في البرزخ ينقطع ولهذا قال جل وعلا ويوم تقوم الساعة ادخلوا الى فرعون اشد العذاب مع انه كانوا في عذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا - [00:30:17](#)

ويوم تقوم الساعة ادخلوا الى فرعون اشد العذاب. فالواجب على المسلم ان يتقي الله وان يتبع هدي الله فيتبع ما جاء في الكتاب والسنن على وفق هدي سلف الامة ويحذر من الاعراض عن ذكر الله - [00:30:41](#)

لئلا يقع في الضيق والظنك في الدنيا قبل الآخرة وفي الآخرة يعذب عذابا اشد وادوم نسأل الله العافية والسلامة الله اعلم وصلى الله وسلم وبارك وانعم على عبده ورسوله نبينا محمد - [00:30:58](#)

- [00:31:14](#)